الفصل الرابع

الفكر الاجتماعي الروماني والمسيحي

- تأثير المدارس الفلسفية على المجتمع الروماني
- مفكرو الرومان
- التنظيم الاجتماعي الروماني
- خلاصة الفكر الروماني
- الفكر الاجتماعي المسيحي
- أفكار القديس أوغسطين
- خلاصة الفكر المسيحي
- نماذج أسئلة الفصل الرابع

obeikandl.com

obeikandl.com

لم تمت الحضارة اليونانية بعد أن استولت روما على بلاد اليونان، بل عاشت بعد ذلك عدة قرون. فقد استفادت الحضارة الرومانية كثيراً من الإنتاج الحضاري الذي تركته الحضارة اليونانية، ومن تراثها النظري وعلومها حتى قيل (إن الثقافة الأغريقية قد انتصرت على ثقافة الرومان الغازية، وأن الفكر الروماني لم يكن سوى تلخيص واقتباس عن الفكر اليوناني)[1].

وربما كان لمساحة الإمبراطورية الرومانية تأثير مباشر على تأثر هذه الحضارة بما وجد من تراث نظري في الجزء المحتل أو المناطق المجاورة، حيث تنوع مصادر الأثراء الحضاري، فخلال القرن الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد استمرت حركة التوسع حتى وصلت أقصى حدودها أثناء حكم الإمبراطور تراجان، إذ كانت في ذلك الوقت عظمة السلام الروماني اللامحدودة تمتد من اسكتلندا حتى السودان ومن شواطىء المحيط الأطلنطي عند البرتغال حتى جبال القوقاز، وهي منطقة تساوي في أيامنا هذه ثلثي مساحة الولايات المتحدة القارية، وربما كان يسكنها أقل من نصف سكان الولايات المتحدة بقليل. وفي هذه الامبراطورية العالمية الواسعة كان كل التراث الحضاري للعالم القديم سواء كان التراث اليوناني أو الشرقي أو السامي أو الغرب الأوروبي قد اندمج ثم انتشر[2].

تأثير المدارس الفلسفيّة على المجتمع الروماني

بقيت الحضارة اليونانية بارزة ومؤثرة في الكثير من النظم الاجتماعية والسياسية والقانونية للحضارة الرومانية، فالمدارس الفلسفية اليونانية سيطرت على الكثير من اتجاهات المجتمع الروماني، ومنها الفلسفة الأبيقوريه ثم الفلسفة الرواقية اللتان

ظهرتا نتيجة ضعف وتدهور واضمحلال أثينا وعدم قدرتها على مجابهة دول متعاظمة في الشرق والغرب والشمال، أي الفرس والروم والمقدونيين على التوالي.

وكان لانتشار هاتين الفلسفتين دور مهم على الفكر الاجتماعي، وعلى القوانين والتشريعات التي استفادت كثيراً من أفكارهما، المتعلقة بالعناصر الجوهرية للطبيعة البشرية التي يمكن أن تتولد عنها نظرية في الحياة الفاضلة.

فالفلسفة الأبيقورية قامت على أفكار جوهرية وهي أن الهدف من الحياة هو السعادة التي يمكن تحقيقها عن طريق التمتع باللذة. والمجتمع لا يعتبرونه ظاهرة طبيعية يهدف إلى إحلال النظام محل الفوضىٰ، فالسعادة واللذة يمكن تحقيقهما في ظل القانون والنظام. كما يدعو الأبيقوريون إلى الإنعزالية وتحديد نطاق العلاقات الاجتماعية، والعزوف عن الإنشغال بالشؤون السياسية وحتى الأمور العائلية[3].

وبينما نادت الأبيقورية باللذة، فقد نادت الرواقية بالزهو والابتعاد عن اللذة، من فرضية جوهرية تقوم على أساس (النظام الطبيعي للكون) الذي يشتمل على عملية تغيير من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه نظام إلهي. والإنسان بوصفه جزءاً من هذا النظام الإلهي كان قادراً على فهمه وفهم قوانينه بالعقل البشري، ومن جهة ثالثة فإن الفضيلة تقوم على المعرفة وهذه الأخيرة يمكن تحميلها عقلاً. وبالرغم من إن الرواقية تؤكد على ضبط النفس إزاء ظواهر الخوف والشهوة والاثارة فإنها كذلك ذات مضامين اجتماعية ـ سياسية. فالدولة لم تعد هي الهدف النهائي الذي من خلاله يحقق الإنسان ذاته، فحيث إن كل الناس يحكمهم العقل، وحيث إن قانون الطبيعة مطبق على الجميع، فإن (مجتمعاً عالمياً) قد وجد فعلاً كما وجدت (رعوية عالمية). إن الرواقية لا تؤمن بالفوارق الاجتماعية في الدولة العالمية حيث تقدم فكرة المساواة عندهم على فرضية رئيسية مؤداها إن البشر أخوة لأنهم جميعاً أبناء الله[4].

بينما نجد إن الرواقية الرومانية اتسمت بالصفة الشخصية ولم تكن ثورة اجتماعية، فقد آمنت بالسلم الاجتماعي الطبقي، وإن كل فرد يجب أن يقوم بالعمل الموكل إليهِ[5]. وهذا ما ساعد على ظهور أفكار جديدة. بفعل الفكر الرواقي مثل

الدولة العالمية والمواطن العالمي والعدالة الطبيعية.

وهكذا ساد التفكير الاجتماعي الروماني فلسفات يونانية عديدة أثرت في طرق وأساليب الحياة، وفي صياغة القوانين والتشريعات، فكيفوا هذه الفلسفة بما يتناسب وظروفهم وحياتهم، مما جعل الكثير من الكتاب يعتقدون أن الحضارة الرومانية لم تؤسس نظريات فلسفية جديدة عن المجتمع والدولة بقدر ما كان الفكر الروماني يتصف بالنزعة العملية مقابل النزعة النظرية الفلسفية في الفكر اليوناني والصيني والهندي[6].

وهذا يعني بأن الفكر الاجتماعي الروماني اتجه إلى معالجة إصلاح واقع المُجتمع، ومواجهة التحديات السياسية والاجتماعية التي كانت تؤثر على مجمل الأوضاع السائدة آنذاك، لذلك كان الجانب التطبيقي يأخذ أبعاداً واضحة في حياة المُجتمع الروماني في تفسير أصل القانون. مما جعل القوانين تأخذ حيزاً واضحاً في الحياة الرومانية مستفيدة من النظريات الفلسفية اليونانية.

مفكرو الرومان

يمكن القول أن ملامح الفكر الاجتماعي الروماني تجسدت في التراث الحضاري الذي شهدته الحياة الرومانية من خلال النظم الاجتماعية والسياسية والقوانين، وكذلك من إسهامات المفكرين الرومانيين أمثال شيشرون وبوليبيوس وابكثيتموس وغيرهم. ويمكن القول إن شيشرون، وسينكا هما الأبرز في تناولهم للموضوعات الاجتماعية وهما يمثلان خلاصة الفكر الاجتماعي الروماني.

وتتلخص أفكار شيشرون الاجتماعية التي تضمنتها كتبه الثلاثة (الجمهورية) و (القوانين) و (الواجبات) في نقاط عديدة أبرزها:

1 ـ الإنسان كائن اجتماعي. وإن الواقع الغريزي عند الإنسان هو الذي يدفعه إلى الاجتماع بالآخرين، مما يؤدي إلى نشأة المجتمع.

2 ـ الجماعة تمثل الدولة، وهي جزء من الشعب، لأن الانضمام للجماعة يعتبر المصدر الأساسي لسعادة الإنسان.

3 ـ ما دام الناس يتصفون بالمواطنة فإنهم لا بد أن يكونوا متساويين في الحقوق القانونية فقط وليس في العلم والثروة والملكية.

4 ـ تستمد الدولة سلطتها من قوة أفرادها مجتمعين، فهم سر وجودها وسرّ بقائها على مرّ الزمن[7].

أما الأفكار الاجتماعية لسينكا فهي:

1 ـ إن الإنسان بطبعه يميل إلى الخير ولكنه بسبب تعقد الحياة وظروفها وضغوطها انتشر الشر والعدوان، فاضطر الإنسان أن يتنازل عن جزء من حريته ويخضع للنظم الاجتماعية التي نشأت خصيصاً لتحمي الإنسان من أخيه الإنسان.

2 ـ نادىٰ بإلغاء نظام الرق باعتبارهِ نظاماً اجتماعياً جائراً يفرق بين البشر[8].

3 ـ حلّل الآثار الأخلاقية للهجرات البشرية، وعالج الحوافز والدوافع التي تشجع الناس على التمركز في العواصم الكبرىٰ مثل روما[9].

هذا وقد كان للفكر الروماني عموماً أثر كبير في ظهور كثير من النظم القانونية والسياسية للمجتمع، فمن (القرن الثاني حتى القرن السادس الميلادي ظهرت فكرة إن هذه النظم يجب أن تقوم على موافقة الشعب، مما أدىٰ فيما بعد إلى فكرة العقد الاجتماعي، ثم فكرة سيادة الشعب، كما ظهرت بين الرومان فكرة أهمية السلطة السياسية علىٰ السلطة الدينية، أيّ أهمية الدولة على الكنيسة)[10].

كما إن الفكر الروماني قد لعب دوراً مرموقاً في التمهيد إلى علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية والدراسات الاجتماعية الوصفية، وإثارته للظاهرة الديموغرافية بسبب الهجرات البشرية والتنقلات والحراك الاجتماعي داخل الامبراطورية الرومانية.

ولكي نوضح ملامح الفكر الاجتماعي الروماني لا بد من تحليل التراث الحضاري الروماني من خلال النظم الاجتماعية والسياسية والقانونية، التي كشفت لنا من خلال خمسة قرون ونيف، عن إمكانيات كبيرة في الإسهام في تطوير الفكر الاجتماعي، وتطوير أساليب الحياة في مختلف مجالات الحياة.

التنظيم الاجتماعي الروماني

مثلما كانت معظم المجتمعات القديمة تتصف بالطبقية، فإن المجتمع الروماني في مراحله المختلفة تميز هو الآخر بالطبقية، فقد شهدت الجمهورية الرومانية (410 ـ 510 ق.م). صراعاً طبقياً بين فئتين هما فئة الأشراف وفئة الشعب، حيث تميزت الأولىٰ بأنها كانت ذات نفوذ سياسي واجتماعي، يرتكز على الميلاد والتقاليد، وعلى تفوقهم الاقتصادي أو الحربي. وهؤلاء يختارون المسؤول التنفيذي، وهم كذلك يمثلون الأغلبية في المجلس أو الجمعية، فاستمرت فئة الإشراف في الإنفراد الحقيقي بالسلطة.

وكانت الكثرة الغالبة من المواطنين الرومان تتكون من طبقة رجال الأعمال، ومنهما الصناع والتجار، ومنها الأرقاء المحرّرون وكثير منها الفلاحون. أما طبقة الأرقاء فقد كانت في أدنىٰ الطبقات، حيث انحطت منزلتهم كثيراً حينما بدأت روما حياة الغزو والفتح، فكانت القوانين تبيح معاملة العبد كما يعامل الإنسان متاعه[11].

وبسبب حكم الإقطاعيين والتنظيم الطبقي، فقد شهد النظام الاجتماعي الكثير من الأفكار والتيارات، التي ساهمت في بلورة التفكير الاجتماعي إزاء قضايا عديدة مثل الأسرة، والمرأة والزواج، وغيرها من المنظمات الاجتماعية الأخرىٰ. ولعل أبرز هذه الأنظمة هي:

الأسرة الرومانية

تعتبر الأسرة أساس المجتمع في الدولة الرومانية، حيث تُعد مجتمعاً متكاملاً يتكون من الآباء والأبناء والخدم الأحرار والعبيد، وهي من المنظمات الاجتماعية الكبيرة.

فالأسرة هي النواة الأساسية في تكوين التركيبة الاجتماعية الرومانية ثم العشيرة والقبيلة. والأسرة الأبوية لا تحب إنجاب الأناث والمشوهين. وقد وصل الحال عند البعض إلى قتل المولودة الأنثىٰ دون خشية من أحد، باعتبارها لا تفيد الأسرة ولا المجتمع بشيء. أما من يرزق بمولود ذكر فتغمره الفرحة ويقيم الاحتفالات في اليوم الثامن من مولده، ويعلن فيه انضمام المولود الذكر للأسرة والعشيرة[12].

وكان الأب والأم ودارهما وأرضهما وأملاكهما وأطفالهما الصغار وأبناؤهما المتزوجون وأحفادهما أبناء هؤلاء الأبناء وزوجاتهم وعبيدهم ومواليهم، كان هؤلاء كلهم يؤلفون الأسرة الرومانية[13].

وكان للمرأة في الأسرة الرومانية حقوق وواجبات، فهي أساس العائلة وحامية المنزل، وقد حدّد القانون حقوقاً متساوية للزوجة مثل الزوج تماماً في حالة الطلاق[14]. ومن مهام الأسرة الرومانية الممتدة (تربية الأبناء وتعليمهم الأخلاق والدين وحب الوطن والدفاع عنه والحرص على ثرواته)[15].

أما ملكية الأسرة الرومانية فإنها تعتبر الأساس الاقتصادي للأسرة ولم يكن (الأب الحائز الوحيد لتلك الملكية: نظام المهر، مؤخر الصداق، الأطفال الذين يخرجون عن وصايته... الخ إلاّ أنه كان الوحيد المؤهل لتحرير العقود التي تتعلق بها مثل الوصايا والهبات والإيجارات وعتق العبيد، ومن خلال هذه العقود يمكننا أن نكوّن فكرة عن ثروة الأسرة)[16].

المرأة والزواج

تغير حال المرأة عبر التاريخ، وفي كل المجتمعات من السيىء إلى الأحسن (وبدأ التحسن يظهر على حال المرأة الرومانية في عصر الجمهورية فأصبح لها وفق القانون حق التملك، وإن تشارك زوجها في الملكية، وإن ترث وأبناؤها ممتلكات زوجها بعد مماته، ووصل بها الحال إلى أن أصبحت سيدة البيت الأولىٰ، وتجلس مع زوجها وأفراد أسرتها على مائدة واحدة لتناول وجبات الطعام بعد إن كان ذلك محرماً عليها)[17].

كانت مراحل الحضارة الرومانية من الملكية إلى الجمهورية قد أثرت تأثيرا واضحاً على وضع المرأة من ناحية المكانة الاجتماعيّة وحقوقها ومفهوم الزواج.

وطبقاً لما كان يبدو أنه من أقدم أشكال الزواج الروماني كانت العروس وممتلكاتها تؤول كلية إلى زوجها، ومن الناحية القانونية كانت علاقتها به علاقة الإبنة بأبيها، ولكنها كانت تعامل على إنها شريكة في الزواج، وكانت تدير شؤون المنزل مثل نساء أثينا في القرن الخامس، ولكنها كانت تتجول بالمدينة وتحضر الاحتفالات العامة.

كما انتشر شكل آخر من أشكال الزواج حيث لم تطبق فكرة سيطرة الزوج على زوجته وجميع ممتلكاتها، وقد استمد هذا الشكل من الزواج من المعاني التي تنطوي عليها وجهة النظر الرومانية في الزواج، التي ترىٰ إن الزواج اتحاد مدىٰ الحياة بين رجل واحد وإمرأة واحدة عقد بينهما طواعية واختياراً من أجل إنجاب الأطفال، ويقوم على أساس الجهة المتبادلة[18].

ولكن ازدياد الثراء وفساد الأخلاق كان من أكبر العوامل في الانحلال الخلقي وانفصام رابطة الزواج، وكان من أهم أسباب الطلاق هو إن الزواج عند الطبقات الاجتماعية العليا أصبح خاضعاً للمال والسياسة. وهذا ما أدىٰ إلى أن الكثير من الرجال قد امتنعوا من الزواج، حيث كانت حجتهم بأن المرأة الجديدة قد ذهب حياؤها وأسرفت في حريتها. فأصبحت الحرية الجديدة في عصر الجمهورية تحطم ما كان للأب من سيطرة تامة على أسرته، وتحطم كيان الأسرة بأكملهِ. فأخذت طائفة متزايدة من النساء تنفس عن نفسها بالأعمال الثقافية من كتابة الشعر ودراسة الفلسفة وتعلم اللغة اليونانية، كما اشتغل بعضهنّ بالتجارة والشؤون المالية، وبعضهنّ مارسنَ مهنة الطب أو المحاماة[19].

القانون الروماني

شهد القرنان الثاني والثالث بعد الميلاد تطوراً في الفقه القانوني، وبروزه كظاهرة واضحة في حياة المجتمع الروماني، خاصة بعد أن نشر الامبراطور جستنيان

موسوعة قانونية اشتملت على كتابات كبار الفقهاء آنذاك.

وتعود أهمية الموسوعة إلى أنها جاءت بنماذج ثلاثة من القانون: القانون المدني، وقانون الأمم أو الشعوب، والقانون الطبيعي. ولعل أهم ظاهرتين تسجل لصالح سيادة القانون ونشره بين الناس هما[20]:

(أ) تسجيل القانون الروماني في الألواح الاثنى عشر بعد إن كان قبل هذا التسجيل خليطاً من العادات القبلية والمراسيم الملكية والأوامر الكهنوتية. فتحرّر من الصبغة الدينية، ولينتقل من مرحلة انتقال العادات غير الثابتة وغير المكتوبة إلى مرحلة القانون المحدّد المدون. مما أضعف سلطان الكهنة وحرموا من احتكارهم تفسير القوانين وتنفيذها.

(ب) خطا الرومان خطوة أخرىٰ في صبغ القانون بالصبغة الدنيوية، حيث بدأ كرنكانيوس في عام 280 ق.م بتعليم الشعب القانون الروماني. وهو أول عمل من نوعه في التاريخ، وبذلك حلّ رجل القانون محل الكاهن.

كما أصبحت الألواح القانونية التي بقيت تسعة قرون أساس القانون الروماني، وأساس برامج التعليم في روما، وهو ما ساعد على بث مبادىء الصرامة وحب النظام في نفوس المجتمع الروماني.

وبالرغم من أهمية نشر هذه القوانين، وارتباطها بحياة الروماني وتقاليده إلاّ أن مضامينها كانت أشد القوانين صرامة في تاريخ الفكر الإنساني، ذلك لأنها كانت تحتفظ بالسيطرة الأبوية الكاملة القديمة التي كانت للأب في المجتمعات الزراعية العسكرية، فكان يسمح للأب بمقتضاها أن يجلد ابنه أو يربطه بالأغلال أو يسجنه أو يبيعه أو يقتله. كما احتفظ القانون الروماني بما بين الطبقات الاجتماعية من فروق كتحريم الزواج بين الأشراف والعامة. وكان القذف والرشوة وسرقة المحصولات الزراعية واتلاف غلات الجار ليلاً، وممارسة السحر ودس السم في الطعام والاغتيال كانت كلها أموراً يعاقب عليها بالإعدام. وبشكل عام كانت العقوبات تتفاوت من الغرامة البسيطة إلى النفي أو الاسترقاق أو الإعدام.

خلاصة الفكر الروماني

1 ـ فكر اجتماعي يأخذ صيغة التفكير العملي التطبيقي أكثر من التأمل النظري، فكان له دور في تطوير ما يمكن تسميته بعلم الاجتماع الوصفي. وهذا ما ساعد على انحسار التفكير النظري. فقد كان يعني بالعلاقات الاجتماعية والأنماط السلوكية أكثر من عنايته بالآراء التفسيرية والتبريرية المتعلقة بطبيعة المجتمعات الإنسانية.

2 ـ فكر اجتماعي استمد مضامينه من القانون الروماني، فتحرّر من الصبغة الدينية وسلطان الكهنة رغم إن شرائع الرومان بنيت على المبدأ الفردي.

3 ـ الفكر الاجتماعي الروماني أبرز تأثير الحراك الاجتماعي والاحتكاك الاجتماعي والظاهرة الديموغرافية على المناشط الاجتماعيّة وتنشيط الأفكار وتفاعلها، مما مهّد إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والدراسات الاجتماعية الوصفيّة.

الفكر الاجتماعي المسيحي

قبل مولد السيد المسيح بثلاثة قرون، نشأت امبراطوريتان كبيرتان هما الامبراطورية الرومانية في الغرب والامبراطورية الصينية في الشرق. ولكل منهما دورها في تطوير المعارف والأفكار والعقائد، وفي صياغة أنماط من التفكير الاجتماعي المرتبط بالبيئة والإنسان، ولكل حضارة خصوصيتها، ولكنهما يشتركان في خاصية واحدة مرتبطة بالنواحي الروحية، حيث عبادة الآلهة الصنمية وإقامة الهياكل لها.

وبمرور الوقت عصفت بهاتين الامبراطوريتين موجات من هجمات الغزاة، فانقضى على الامبراطورية الرومانية برابرة الشمال وقوضوا أركانها، وتحولت فيما بعد إلى قسم غربي وشرقي، فكان هذا الانقسام نهاية الامبراطورية. بينما انقضى على الامبراطورية الصينية غزاة المغوليين في الشمال، وبدأت بالضعف رغم توحيدها في القرن السابع على يد سلالة (تان) حيث بقيت مسرحاً للتقاتل والفوضىٰ.

من جهة أخرىٰ سمح الامبراطور قسطنطين بالمسيحية ديناً بين مواطنيها في سنة 313 م، وفي سنة 393 م صارت الدين الرسمي للدولة حيث تم تحريم الوثنية.

وقد تمّ تمثيل هذه الفترة عدّد من القديسين أبرزهم القديس أوغستين وتوما الأكويني.

أفكار القديس أوغسطين

ولد عام 354 م في شمال أفريقيا الرومانية، وقد اعتنق المسيحيّة في عشرينات عمره، وتدرج في السلم الكنسي حتى عين أسقفاً لمدينة جيبو (وهو الآن ميناء يونا في الجزائر) سنة 395 ق.م، وبقي هناك حتى مات سنة 430 م.

وقد تأثر هذا القديس بأفلاطون كثيراً ممّا جعله يلقبه «نصف الإله» ولم يمتنع عن أن يكون أفلاطونياً بعد إن صار مسيحياً، وقيل أن تأثره بالفلسفة الأفلاطونية كان سبيل أوغسطين إلى المسيحية[21].

ويعتبر كتابه «مدينة الله» من أهم كتبه، وهو الكتاب الذي مهّد لتشكيل الفكر الاجتماعي، وتتلخص أفكاره في:

(1) إبراز فكرة (الحق الطبيعي) و (الحق الإلّهي) وشرعية السلطة السياسية والسلطة الدينية والنزعة الإنسانية ودور العقيدة الدينية في السمو بالعلاقات البشرية وفقاً للمبادىء الأخلاقية الساميّة.

(2) المجتمع عند أوغسطين ليس مجرد حشد من الناس، وإنما لا بد أن يرتكز المجتمع على اشتراك الأفراد في الفكر والعاطفة، وهذا الاشتراك يؤلف منهم وحدة معنوية.

(3) أرجع حق الملكيّة للذات الإلّهية. فالملكية ليست حقاً طبيعيّاً ولا هي حق بفعل القانون الوضعي، ولكنها ترجع إلى مصدر قدسي[22].

(4) اهتم أوغسطين بأساليب الحياة التي سادت مجتمعه، وليس بمؤسساته أو

منظماته، فالصراع قد بدأ بين الكنيسة والدولة، بل كان بين أسلوبين أو طريقتين مختلفتين في الحياة: في المدينة الأرضية يسود حب النفس والرغبة في القوة والسلطان، أما في المدينة السماوية فإن حب الله هو أساس النظام. ومن هنا يقسم أوغسطين الجنس البشري إلى قسمين: الأول يتكون من الذين يعيشون طبقاً لرغبة الإنسان، والآخر يضم أولئك الذين يعيشون طبقاً للأسلوب الإلهي[23].

(5) تلاشي نظام الرق مرهون بزوال التسلط والظلم والخطيئة، ولا يتصور إبطال التسلط والظلم من المجتمع الإنساني إلاّ يوم أن يتولىٰ الله بنفسه السلطة المباشرة على البشرية[24].

(6) يتضح الأثر اليوناني ـ الروماني على أوغسطين عندما نجده يقول أن «حياة الإنسان الرشيد يجب أن تكون اجتماعيّة». وإن الدولة أفضل له من أيّ مؤسسة أخرىٰ حيث أنها تهدف إلى تحقيق السلام.

أفكار القديس توما الأكويني

اقترب الفكر الاجتماعي للقديس توما الأكويني (1525 ـ 1274 م) من بين أفكار أرسطو الاجتماعيّة، وأبرزها فكرة أن الإنسان له غريزة حب الاجتماع. ويعتبر كتابه (حكومة الأمراء) تجسيداً لفكره الاجتماعي الذي عكس مرحلة احتدام الصراع الضيق بين البابوية والأباطرة.

ويعتبر الأكويني وأغسطين أبرز قادة الفكر الكنسي الذين طورا مفهوم الكنيسة. ويرىٰ البعض من الكتاب بأن أفكار أوغسطين هي مزيج من الأفلاطونية والمسيحية. بينما أفكار الأكويني هي مزيج من أفكار أرسطو والمسيحيّة[25].

والأكويني ولد قرب مدينة نابولي الإيطالية لأسرة أرستقراطية تنحدر من ملوك وأباطرة أوروبا. وعندما بلغ من العمر ستة عشر عاماً انخرط في سلك رجال الدين الدومينيكان. وخلال جولاته العلمية كطالب في نابلولي وكولونيا وباريس درس مختلف العلوم وبرز كمعلم في علم اللاهوت والفلسفة. ويقال أنه ألّف أكثر من سبعين كتاباً في مختلف مجالات المعرفة والعلوم وخاصة الدينية والفلسفية[26].

ومن أبرز أفكاره:

1 ـ يعتقد بضرورة استقلال كل من الإيمان والمعرفة كل في مجال اختصاصه، رغم أنه لا يميل إلى الفصل النهائي بينهما، ولكنه يرىٰ بأن الإيمان ضروري لمراقبة العقل من أجل ضبطه والسيطرة عليه لتحديد أهدافه[27]. فالإيمان يحتل مرتبة أولىٰ من المعرفة في سلم الحقيقة.

2 ـ الملكية الخاصة ليست متعارضة على القانون الطبيعي بل إنها إضافة إليه استنبطها

العقل البشري، فالملكية ليست مطلقة، فالملك المطلق للخالق ومالك كل شيء، ولهذا يعتقد من يملك عليه أن يشبع حاجات من لا يملكون[28].

3 ـ إن الإنسان اجتماعي بالطبيعة، وإن المجتمع هو الوسيلة الطبيعية للإنسان لكي يحقق أغراضه.

4 ـ إن المجتمع يقوم على وحدة الغرض وتحقيق الآمال المشتركة التي يستهدفها الأفراد الذين يتكون منهم.

5 ـ لا بد من وجود سلطة عليا لكي توجه المجتمع نحو الصالح، ولكي تساعد الحاكم على اصطناع الوسائل للوصول إلى تحقيق الأهداف الاجتماعية، وذلك لا يتحقق إلاّ بتنظيم سياسي واسع يقوم على اتفاق بين الحاكم والمحكومين[29].

6 ـ نظام الرق عنده وظيفة اجتماعية، لذلك فإنه اعترف بهِ، ورأيه يطابق رأي القديس أوغسطين. ولكنه نادىٰ بضرورة إلغاء هذا النظام والقضاء على وظيفته الاقتصادية، تمشياً مع الديانة المسيحيّة.

خلاصة الفكر المسيحي

1ـ فكر اجتماعي اتخذ الصبغة الشكلية دون الموضوعية، فارتكز هذا الفكر على المبادىء الأخلاقية والقيم الدينية في تفسير الحياة الاجتماعية وتناقضاتها.

2 ـ اتسم هذا الفكر بصبغته الدينية واعتماده على مبادىء إنسانية، رغم أن هذا الفكر الاجتماعي لم يكن وليد تحولات في القوىٰ الاجتماعية القائمة.

3 ـ فكر أخلاقي، بدليل أن جميع أنشطة الحياة الاجتماعية اقترنت بالقيم الأخلاقية للكنيسة وأحكامها.

4 ـ فكر قدري ارتبط بتعاليم دينية ونصوص، فابتعَد عن تفسير الحياة الاجتماعية ومناشطها المختلفة بشكل علمي، وقيَّد العقل في قوالب دينية وأخلاقيّة، فالإيمان ليس أقل تأكيداً من نتائج البحث العقلي.

نماذج أسئلة الفصل الرابع

س[1]: اكتب مذكرات مختصرة في الموضوعات الآتية:
أ ـ الفلسفة الأبيقورية.
ب ـ الفلسفة الرواقية.

س[2]: اشرح تأثير الفلسفة الأبيقورية والرواقية على الفكر الاجتماعي الروماني.

س[3]: اشرح ملامح الفكر الاجتماعي الروماني في المجالات الآتية:
أ ـ الأسرة.
ب ـ المرأة والزواج.

س[4]: لخص أفكار (شيشرون) الاجتماعية في كتبه الثلاثة: الجمهورية والقوانين والواجبات.

س[5]: ما هي أفكار (سينكا) الاجتماعية وتأثيراتها على الفكر الروماني القديم.

س[6]: اشرح الجوانب الاجتماعية في القانون الروماني القديم، موضحاً تأثير هذه القوانين على الفرد والمجتمع.

س[7]: يعتبر كتاب (مدينة الله) للقديس أوغسطين من أهم كتبه التي مهدت لتشكيل الفكر الاجتماعي المسيحي. لخص أفكاره بنقاط.

س[8]: وضح بنقاط أبرز خصائص الفكر الاجتماعي للقديس توما الأكويني.

هوامش الفصل الرابع

(1) د. عبد المجيد عبد الرحيم، تطور الفكر الاجتماعي (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية 1969) ص 94.

(2) دونالد. ر. دولي، حضارة روما، ترجمة جميل يواقيم الذهبي وفاروق فريد (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر 1979) ص 4 ـ 5.

(3) Curtis, Michaels Ed. **The Creat Political Theories,** New York The Hearts Corporation 1973 (2 Vols) pp.96- 102.

(4) IBID, p. 97.

(5) د. عثمان أمين، **الفلسفة الرواقية**، الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية 1959) ص 226 ـ 237.

(6) د. عمر فروخ، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام. ابن خلدون** (بيروت: دار العلم للملايين 1972) ص 126.

(7) Curtis. I, op. pp.113- 116.

(8) د. عبد الله عبد الغني غانم، تاريخ التفكير الاجتماعي، الطبعة الرابعة (الإسكندرية: الكتب الجامعي الحديث 1992) ص 88.

(9) المصدر السابق، ص 90 ـ 91.

(10) د. عبد الحميد لطفي، علم الاجتماع، الطبعة السابعة (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1977) ص 220.

(11) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ترجمة محمد بدران (بيروت: دار الجيل 1988) ص 48.

(12) د. سعيد عبد الفتاح عاشور، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1984) ص 118.

(13) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، الجزء التاسع، مصدر سابق، ص 121.

(14) David, T. Rice, "The By Zantines", M.B.E. 1962. p.123.

(15) ول ديورانت: فلسفة الحضارة (الحضارة الرومانية) ترجمة محمد بدران الجزء الأول من المجلد الثالث، الطبعة الثالثة (القاهرة: الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية 1972) ص 221.

(16) د. عفاف سيد صبره، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان (القاهرة: دار النهضة العربية 1982) ص 227.

(17) د. عقيل حسين عقيل، سيادة البشر ـ دراسة في تطور الفكر الاجتماعي (مالطا: منشورات EIGA 1997) ص 285.

(18) دونالد. ر. دولي، حضارة روما، مصدر سابق، ص 22.

(19) ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء التاسع، مصدر سابق، ص 278 ـ 279.

(20) المصدر السابق، ص 67 ـ 70.

(21) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الجزء (112) (بيروت: دار الجيل 1988) ص 132 ـ 134.

(22) د. محمدعلي محمد، تاريخ الفكر الاجتماعي (القاهرة: دار المعرفة الجامعية 1994) ص 29.

(23) Ernest Barker, **"St. Augusting's Theory of Society"**, In Downton, Jr. and Hart, Eds, p. 214.

(24) د. أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعي ـ دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية (بيروت: دار النهضة العربية 1981) ص 158.

(25) Maurice Cranston, **"St. Tomas Aquinas as apolitical** philosopher". In Downton, Jr. and Hart, Eds, p.278-279â

(26) Ibid, op.cit. p.21.

(27) Ibid, pp. 279-280.

(28) McDonlad. Lee Comeroon. **Western Political Theory.** (New York: Harcurt, Bracc & Word, Inc, 1968) p.153.

(29) د. محمد علي محمد، مصدر سابق، ص 30.

obeikandl.com